التربية الروحية والجيل الجديد

للأستاذ الدكتور حسن عباس زكى وزير الاقتصاد المركزى

الدكتور حسن عباس زكى . فوق إمامته الإقتصادية ، عالم رحب الآفاق ، ومتصوف مستنير ذواق ، له دراسته وتجربته ومعرفته فى المنهج الصوفى الذى يؤمن به ويدعوله ويتلون به تفكيره وسلوكه.

ليس فى دعوتى إلى خلق مجتمع يتجه أتجاه واحد فى التفكير والسلوك ما بنا فى الدعوة إلى الاعتراف بحق كل فرد فى أن يحيا ويعمل بحرية تامة ، وليس فى توجيه أفراد المجتمع على اختلافهم وجهة واحدة فى التفكير قضاء على ذاتية الفرد وجعل الأفراد صورا متكررة لأننا نضع فى حسابنا تباين الأفراد فى الطاقة والموهبة ، كما نضع فى حسابنا أن وجود المجتمع الصالح يتطلب ألا يصل التناقض بين أفراده إلى حد التنافر الذى يضع العراقيل فى طريق التطور المنشود .

وإن المجتمع لا يمكن أن يتجه اتجاه إيجابيا يدفع إلى العمل والإنتاج وإلى التعاون والسمو النفسى والخلق إلا إذا تهيأت لكل فرد فرص الحرية والحياة كما يريد ، ووجدت بين يديه الإمكانيات التى توجد التناسق بينه وبين غيره من الأفراد .

فنحن لانريد أن نعود إلى ما كنا عليه ، ويجب أن ننزع من كل فرد فينا هذه الجذور التى تأصلت فيه حتى نستطيع أن نهيئ أنفسنا للمبادىء الجديدة التى تتجاوب معنا وتلمس شعورنا وأرواحنا ، وتنبع من تاريخنا ، وتتصل بماضينا ، ونرجو أن تهيأ لكل فرد فى ظلالها حياة فيها رفاهية من العيش ، وفيها عزة وكرامة للنفس ، وليس فى ذلك سلب لذاتية الفرد وليس طبعا للأفراد على صورة واحدة فى الحجم أو الشكل .

لأن التربية الروحية التى ننادى بها

والمبادىء الدينية التى نعتنقها ، تنادى برفع القيم النفسية ، ومراعاة الحرية الشخصية ، بخلاف تلك المذاهب التى تسلب حرية الفرد ، وتهدم جميع القيم الخلقية وتنكر الغايه من الحياة ، وتفرض السيطرة .

مبادىء جديدة

أما المبادىء التى ننادى بها ، والتى نريد أن تتوفر لمجتمعنا الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ، فهى مبادىء تقوم على التسامى بالنفس والخلق ، وتدعو إلى بذل المجهود ومضاعفة الإنتاج وتوفير الحياة الحرة الكريمة لكل فرد بما تهيئه له الدولة من إمكانيات ، وهذه مبادىء جديدة على مجتمعنا الذى نالت منه الانتهازية والرجعية واستغله الأقطاع والاستعمار ، فلا بد من تهيئة كل فرد لهذه المبادىء الجديدة التى نعلم تمام العلم أنها خاضعة لسنة التطور وللتجارب ولملابسات الاستكشافات الجديدة فى العلم وفى قوانين الحياة .

وإننا إذ كنا ندعو إلى اتخاذ شارات من الزهور أو المأكولات فلسنا نعنى بذلك نازية ولا فاشية وإنما نعنى توحيدا للقوى الإنسانية وتوجيها للافكار توجيها إيجابيا .

وما مثل ذلك إلا مثل الأعلام والشارات التى تتخذها الدول لتوجيه أبنائها اليها نحن فى حياتنا اليوم نجد كل مدرسة تتخذ لها زيا خاصا بابنائها أو شارة ترمز إليها ، أو نشيدا ينشده التلاميذ فيها ، كما أن المصنع يتخذ لعماله زيا خاصا . وشارة تدل عليه . ولسنا نرى فى ذلك إلا توجيها من المدرسة إلى الطابع الخاص بها وتوجيها من المصنع إلى العمل الذى يقوم به والجهد الذى يبذل لتنمية هذا العمل . وما نظن أحدا يتصور أن ذلك مدعاة لصنع التلميذ فى قالب متكرر ، أو فى جعل العمال آلة لا تتغير ولا تتبدل .

ولو ساغ أن نفهم ذلك لساغ لنا أن نقول بغلق المدرسة وإبطال المصنع لأن كلا منهما يصنع قوالب تهبط بالفرد وتنافى إصلاحه كما تنافى إصلاح الجميع .

ماله . . . وما عليه

إن فلسفتنا تقوم على إدراك الدولة لغايتها هو الذى ييسر لها أن تضع لأفرادها النظم التى توسع أمامهم مجال العمل ، وتجعلهم يقبلون على مشروعات الدولة محتفين بها باذلين الجهد لأقامتها حتى تتوفر لهم سبل الحياة فى كل قطاعاتها الاجتماعية

والسياسية والاقتصادية لأن الأهداف التى ترسمها الدولة لنفسها لا يمكن أن تبرز إلى حيز الوجود إلا إذ أمن كل الأفراد بها إيمانا عميقا ، ورأوا فيها ما يصلح حياتهم .

فمعنى إصلاح الفرد هنا أن يفهم ما يجب عليه ، وما يحق له فيؤدى الأول، ويأخذ الثانى ، ومعناه أن يرسم لنفسه الطريق الذى يسير فيه مع غيره حتى يتوجه الجميع إلى السير فى هذا الطريق دون تهيب ولا تعثر ، وليس معناه أن نتركه بلا عمل ولا دخل ولا إيراد وإنما معناه أننا إذا قومنا فيه اعوجاجه استطاع هذا التقويم أن يدفعه فى ركب الحياة الصحيحة ، ويبصره بالطريق السوى .

مقومات الجيل

إن الجمهورية العربية المتحدة تهدف إلى استغلال كل الطاقات ، طاقات الفرد النفسية والفكرية والجسمية ، كما تهدف إلى أستغلال طاقاتها الكامنة فى أرضها ، وجوها ومياهها ولن يمكنها ذلك الا إذا كونت أفرادها تكوينا يهيء لكل منهم أن يسهم بدوره فى إبراز هذه الطاقات . فليس من المعقول أن تنشىء الدولة مصنعا دون أن تفكر أولا فى ميزانيتها وفى ميزانية هذا المصنع ، ثم تبنى فى المكان الملائم ، وتوجد المهندسين الذين يقومون عليه ، وتدرب العمال الذين يشتغلون به ، وإلا فكيف يكون حالنا لو أقمنا المصنع وحشدنا العمال أمام الآلات ، أيجوز فى أذهاننا ان ينطبع العامل مع الآلة ؟ وهل يشعر بأن الدولة قدمت له الأجر الذى يؤسس به البيت ، ويربى منه الأولاد وإذا جاز هذا فهل يكون راضيا عن شعوره ؟ وهل يهنأ بهذا الأجر ، وهل يرضى أحد أن تتصرف الدولة على هذا النحو الذى إن دل على شىء فإنما يدل على الفوضى والفساد ؟

إن الدولة تسير لتخلق للجيل الحاضر مقوماته المادية والمعنوية ، ولتنزع من نفسه الرواسب الضاربة فى أعماقه ، وهى فى الوقت نفسه تعمل لخلق جيل جديد متحرر من هذه الرواسب .